السلسلة الثقافية

بقلم احمد عبد القادر

الديمقراطية الاشتراكية

١

أصدرته مديرية الفنون والثقافة الشعبية - وزارة الارشاد

سيصدر عن هذه السلسلة :

* المغنون البغداديون والمقام العراقي
للشيخ جلال الحنفي
* دار السلام في حياة أبي العلاء
للدكتورة بنت الشاطيء
* المدخل الى علم الفولكلور
عثمان الكعاك

الاشراف الفني : جميل حمودي

الديمقراطية الاشتراكية

بحث فكري موجز في تاريخها واهميتها.

بقلم
أحمد عبد القادر

صِراع مع الشيوعيَة

لم تشهد الشيوعية الحديثة فى حياتها ، منذ قيام عصبة الشيوعيين التى أسسها ماركس عام ١٨٤٧ حتى هذا اليوم ، من خصم قوى الشكيمة ، صلب العود كهذا الذى شهدته فى الديمقراطية الاشتراكية . وقبل الحرب الاولى ، أو بعبارة أدق ، قبل قيام الحزب البولشفى اللنينى فى روسيا ، كان الصراع بين العقيدتين يجرى على الصعيد الداخلى فقط داخل المؤسسات الدولية خلال الاممتين الاولى والثانية .

وفى خلال الاممية الثانية ، أو ما يمكن أن نسميه بعهد ازدهار الديموقراطية الاشتراكية ، كان الخلاف قد تبلور بين العقيدتين ، ثم راح يستقطب أكثر فأكثر الى أن بلغ الأوج فى الاجنحة الاشتراكية الدولية المختلفة التى تربع الشيوعيون فى احدها ، مما أدى بهم الى الهروب بأنفسهم

من حضيرة تلك الاممية ليشكلوا لهم وحدهم حزبا سياسيا ، هــو الحزب البولشفى ، على ضوء التفسيرات والنظريات التى أتى بها لنين ، وليعلنوا قيام أممية جديدة ، هى الاممية الثالثــة ، أو الامميــة الشيوعية زاعمين بأنهـا وحدها التى ستؤدى بالانسانية الى حياة أفضل •

وبعد انفصال الشيوعيين عن حضيرة الاممية الثانية ، بدأ الصراع بين العقيدتين على الصعيد الدولى صراحة فلم تدخر كل منهما وسعا فى مقاومــة بعضهما البعض ، فكانت الحملات النارية التى شنها لنين ، ومن بعده ستالين ، على الديموقراطية الاشتراكية وقادتها ، تمثل ضيق الصدر السياسى والافلاس الثوري عندما انحدر الزعيمان الشيوعيان الى استعمال الكلمات النابية الغريبة على المنطق السياسى ك « التعفن » و « التفسخ » و« الانتهازية » و« القذارة » و « الخيانة » و « التدليس » و « المستنقعات » و « الانحراف » و « التآمر » ، الى آخر ما فى قاموس السباب الشيوعى الذي تزخر به مؤلفات لنين وكتاباته ، وهى كلمات ورثتها الاجيال الشيوعية المتعاقبة عن بعضها فى مختلف بلدان الدنيا وراحوا ، كما هو شأنهم فى كل مكان اليوم ، يرمون بها كل من هو غير شيوعى ، اشتراكيا كان او غير • والحق فان اول ما يأخــذه المفكرون الباحثون على الاممية الثالثة فى كفاحها السياسى فى هذا العصر ، هــو هــذا الاسلوب « السبابى » « الشتائمى » الذى لايليق لا بقائد عقائدى ولا حتى بأى محترف من محترفى السياسة العاديين • وعلى الرغم من كل هذا الشتم والسباب ، فان الديموقراطية الاشتراكية بقيت صامدة عالية الصرح والبنيان محتفظة بكرامتها السياسية وأدبها السياسى ، فلم ترد على الشتيمة بالشتيمة ولا

على السباب بالسباب ، انما كانت ردودها العمل السياسى السلمى الهادىء الرصين فى مختلف انحاء الارض ، فراحت تعمل جاهدة ضد الاستعمار وفى مكافحة الظلم الاقتصادي والاضطهاد والتعسف والاستغلال وترفع من شأن الديموقراطية ومفاهيمها ، فمشت من نصر الى نصر بسبب مواكبتها المصالح الآنية لجميع شعوب الارض فالتفت حول رايتها هذه الكتل البشرية الجبارة في آسيا وافريقيا واوربا ثم اجتازت المحيط الاطلسى الى دول اميركا اللاتينية ثم لتقف بوجه سطوة الكارتل والترست ورؤوس الاموال الضخمة فى الاميركتين ، وهى بالغة أهدافها ومقاصدها اليوم أو غدا اغلب الظن •

ان ضمور السيطرة الاحتكارية الاجنبية وانحسار ظل الاستعمار عن بقاع العالم كنتيجة لكفاح الشعوب الواعية فى الدنيا ، قد جرد الاممية الشيوعية من اسلحتها الهجومية التى كانت تستعملها فى سبابها ضد الديموقراطية الاشتراكية ومبادئها فى الثورة السلمية البيضاء ، فلم يعد هناك من يصدق شتيمة شيوعية موجهة الى شخصية او حزب ديموقراطى اشتراكى تصمه بأنه « قذر انتهازى » ، أى عميل لرأس المال ، أو « متفسخ يعيش فى مستنقع عدوانى بورجوازى » أى حليف للاستعمار ، وذلك فى بلد متحرر من سيطرة الاحتكارات المالية لاينزع الى التوسع الاستعمارى •

لا ماركس ولا انجلز قد استطاعا فى حياتهما تحقيق شيء من اهداف الشيوعية الدولية الرئيسية أو الزام أحد من قادة الاشتراكية الآخرين بتبنى تلك الاهداف • كل ما استطاعا ان يعملاه تلك الايام هو اقرارهما مرغمين ، بعض أغراض الديموقراطية الاشتراكية خلال عمر الامميتين • ذلك لانه

لا ماركس ولا انجلز قد استطاعا ، ولو مرة واحدة ، من الزام أى مؤتمر اشتراكى ساهما فيه ، الزاما اجماعيا ، باقرار مبدأ « ديكتاتورية الطبقة الواحدة » فوق رأس المجتمع • فلقد كان المؤمنون بالاشتراكية من غير الشيوعيين ، والديموقراطيون الاشتراكيون ، على وعى تام وبينة من أن اقامة مثل هذه الديكتاتورية على اشلاء بقية الطبقات سيؤول بالتالى الى استبداد جهاز من شأنه القضاء على جميع المفاهيم الديموقراطية فى الحرية ويجعل من الطبقة المحكومة التى بقيت بعد فناء بقية الطبقات ، كتلة من آلة بشرية تتحرك بارادة ذلك الجهاز ، لا حول لها ولا قوة فى معارضته أو الاحتجاج عليه ، وهو ما يرجع بالبشرية القهقرى الى نوع جديد من انواع الرق البشرى الشامل •

حتى الاممية ذاتها ، هذه الاممية التى يفخر « ببطولاتها » الكتاب الشيوعيون ، لم تكن بالحقيقة من صنع ماركس وانجلز مطلقا • انها كانت من صنع العمال الفرنسيين • لقد كانت «طفلا فرنسيا شب على يد مربية انكليزية» كما هو معلوم •

يقول هنرى ارفون : « قد يحمل اختيار لندن مركزا للاممية الاولى على الظن بأن النقابيين الانكليز هم الذين دعوا الى تأسيس الاممية الاولى • غير ان الواقع كان عكس ذلك • فالمندوبون الفرنسيون هم الذين عملوا لتأسيس تلك الاممية » • ولقد قيل بحق « ان الاممية الاولى طفل ولد فى المصانع الفرنسية وعهد به الى مربية فى بلاد الانكليز » ولقد كتب النداء لتأسيس هذه الاممية حرفى باريسى اسمه تولان ، كان يعمل فى صب البرونز ، وذلك

عند ارسال وفد عمالى الى معرض لندن ، وكان تولان هذا من اتباع برودون» •

واذن فان الحرفى البارىسى البرودونى تولان ، ومعه الزعيم الفوضوى برودون ، كانا هما خالقى الاممية الاولى وفارسيها السباقين • على أن الكتاب الشيوعيين ، وهم من هم فى سرقة « البطولات » و « النجاحات » ، ثم سرقة القيادات والثورات من الغير ، قد كتبوا فى الموسوعة الشيوعية الكبرى يقولون :

« ان جمعية الشغيلة الاممية ـ الاممية الاولى ـ كانت أول منظمة ثورية عالمية جماهيرية للبروليتاريا • وقد شكلها فى عام **١٨٦٤** كل من كارل ماركس وفريدريك انجلز ، مؤسسى الاشتراكية العلمية • وكانا خالقيها وقائديها » •

وكاتب الموسوعة الشيوعية هذا ، بعد أن يسرق واقع تأسيس الاممية الاولى بهذه الجرأة من البرودونيين ويسلمه لماركس وانجلز ، يقع فورا فى تناقض مضحك مع نفسه ويفضح أكاذيبه على عجل اذ يثبت للقارىء بأن هذه الاممية لم تكن « عالمية جماهيرية للبروليتاريا » كما يزعم ، وذلك عندما يقتبس عن لنين ما كتبه بدوره من متناقضات ايضا عنها اذ يقول :

« ان ماركس ، بجمعه شمل الحركة العمالية فى مختلف البلدان ، وسعيه الى توجيه شتى اشكال الاشتراكية غير البروليتارية السابقة للماركسية (مازينى ، برودون ، باكونين ، التريديونينية ، الليبرالية الانكليزية ، الانحراف اللاسالى اليمينى فى المانيا •• الخ ، نحو انتهاج نشاط مشترك ، وكفاحه نظريات جميع هذه الشيع والمدارس ، قد صاغ تكتيكا وحيدا لنضال

الطبقة العاملة البروليتارى فى مختلف البلدان » •

ولنين اذ يفضح كذبة كاتب الموسوعة الشيوعية فى عرضه طبيعة العناصر التى كانت تتكون منها الاممية الاولى عندما يشير بهذه الصراحة الى « شتى أشكال الاشتراكية غير البروليتارية » والى « نظريات جميع الشيع والمدارس » التى كانت تتشكل منها تلك المؤسسة ، فأنه بدوره يناقض نفسه ايضا عندما يقول مرة فى نفس فقرته المقتبسة هذه ، بأن ماركس كان « يجمع شمل الحركة العمالية فى مختلف البلدان » ، ثم يعود ليقول مرة أخرى بأنه كان « يكافح نظريات جميع هذه الشيع والمدارس » التى تمثل عناصر تلك المؤسسة • اذاً هل يعنى صراعك وكفاحك عدة أشخاص من أجل القضاء عليهم وسحقهم بكل ما أوتيت من قوة ، هل يعنى ذلك بأنك « تجمع شملهم » ؟ انه منطق بائس ، بل تهويش ومغالطات لا يمكن للكتاب الشيوعيين التجرد عنها عندما يسرقون منجزات الناس أو يفتعلون البطولات، شأنهم شأن من يريد أن يقمرك بالغش فى لعبة قمار •

الواقع ان القرن التاسع عشر ، منذ مطلعه ، كان زاخرا بالتيارات الاشتراكية والديمقراطية المتعددة الاشكال التى لا تؤمن بديكتاتورية الطبقة الواحدة • وكانت « عصبة الشيوعيين » التى أسسها ماركس وانجلز عام ١٨٤٧ عربة ثورية مكسرة الدواليب ، حاول المفكران الشيوعيان أن يسابقا بها عاصفة الديموقراطيات الاشتراكية المنطلقة فى رحاب ذلك القرن ، فأجهدا نفسيهما فى سحبها مدة سبع عشرة سنة دونما جدوى ، بعدها وجدا الفرصة المناسبة للاعلان عن تلك العصبة وحمولة عربتها فى لندن عندما

انضما الى الاممية الزاخرة بالعناصر الديموقراطية الاشتراكية والتى دعا الى تأسيسها الحرفى الباريسى غير الماركسى تولان .

فالظاهر أن المنطق السياسى الذى يلج به كاتب الموسوعة الشيوعية لا يرقى بمستواه الى أكثر من الدعاية العقائدية التى يمكن أن تجوز وتمرر على الناشئة الشيوعية فقط . ومثل هذا المنطق ، لا يجوز أن تحبر به موسوعات عالمية تكون على أقل تقدير فى متناول يد الباحثين والمفكرين العقائديين . ان قصة تكوين الاممية الاولى قد أصبحت معروفة لدى الغادى والرائح فى مكتبات التاريخ السياسى ، فلماذا تحشر المغالطات الضخمة فى موسوعات كان المفروض فيها أن تكون مراجع علمية لا يرقى الى سطورها الشك بالنسبة للذين يقلبون صفحات التاريخ ؟ من يدرى ، لعل ذلك من باب المنطق الهيجلى المقلوب أيضا !

ورغم مغالطات كاتب الموسوعة الشيوعية وتهويشاته ، فأن حياة الاممية الاولى كانت عبارة عن سلسلة صراع عقائدى رهيب بين قادة الفكر الشيوعى وعلى رأسهم ماركس وانجلز ، وبين قادة الفكر الديمقراطى الاشتراكى مرة ، وقادة الفكر الفوضوى مرة أخرى . وكان الملحوظ على قرارات جميع المؤتمرات التى عقدتها تلك الاممية ، هو أن كل جانب كان يقرر لنفسه القرار الذى يريده ، بعدها كانت تصدر المقررات التى ما وجدنا فيها نصرا حاسما لأى جانب كان . على أن التاريخ يسجل بأن نفوذ البرودونيين فى السنوات بين ١٨٦٤ – ٦٨ كان بارزا فى جو تلك الاممية بسبب التفاف كثير من الاوساط الشعبية الاوربية حولهم . وعندما تضاءل نفوذ هؤلاء

بتخليهم عن القيادة لفوضويين جدد ، منهم جيمس غليوم ودى بيب وفارلان، يدعون الى الاخذ بمبدأ الملكية الجماعية الذى كان يدعو اليه الشيوعيون ، ازداد الصراع العقائدى حدة بين هذين الجانبين وبلغ ذروته بظهور باكونين على مسرح هذه الاممية التى انضم اليها عام ١٨٦٨ ، حتى لتكاد تكون المرحلة الثانيـة من تاريخ الامميـة الاولى لا أكثر من سجل للصراع التاريخى بين ماركس وباكونين •

وعندما أصبح الانتساب للاممية الاولى خيانة عظمى فى نظر الدول الاوربية بسبب وقوف العناصر الشيوعية لهذه الاممية الى جانب كميونة باريس من جهة ، وبعد أن رأى القادة الشيوعيون فى زعماء الديموقراطيات الاشتراكية ، والقادة الفوضويين خصوما أولى بأس ، لهم ما لهم من الخطر فى ميـدان الصراع العقائدى من جهة أخرى ، عمل ماركس للخروج من هذه الورطة بذكاء يلفت النظر ، بأن قرر ـ لنفسه ولأتباعه طبعا ـ فى مؤتمر لاهاى عام ١٨٧٢ طرد باكونين وجماعته من تلك الاممية كما لو كانت هـذه حزبا شيوعيا وليست جامعة اشتراكية ، ثم الهروب من الميدان بنقل مكتب الاممية الى نيويورك ، وبعدها جرى حلها رسميا فى اجتماع عقد فى فيلادلفيا عـام ١٨٧٣ • ولقد كتب ماركس فى ذلك الى الزعيم الاشتراكى الالمانى « سورج » فى ٢٧ ايلول ١٨٧٣ يقول :

« انى أرى من المرغوب فيه بصورة لا تقبل الجدل ، وبالنظر للوضـع فى أوربا ، نبذ التنظيم الشكلى للاممية الى المؤخرة بصورة موقتة ••• الخ »• والواقع ، فأن أحداث التاريخ تبين لنا بوضوح ، بأن الفوضوية أيضا

لم تلن لها قناة أمام الشيوعية قط • ففى المؤتمر الخامس الذى عقده ماركس وانجلز للاممية الاولى فى لندن ، كان جيمس غليوم ، الساعد الايمن لباكونين ، قد رفض وترفع حتى عن بيان موقفه من القضايا التى دعى الشيوعيون لمناقشتها • كذلك فأن القرار بطرد باكونين فى مؤتمر لاهاى ، لم يكن ليمثل غير ضيق الصدر الشيوعى ، وغير عجز الشيوعيين عن التغلب على عقيدة بمثلها •

وبعد انحلال الاممية الاولى بزمن ، بدأت الفوضوية تجنح نحو السقوط ، لا بتأثير من الماركسية أو غير ، انما بمسيرها هى نفسها بظلفها الى حتفها عندما اتخذت من الجريمة والقتل والاغتيال السياسى وسيلة لتحقيق أغراضها السياسية • عند ذلك فقط ، انفضت من حولها الجموع التى صفقت طويلا لثورية برودون وباكونين فى اوربا ، فانهار صرحها الاشتراكى الذى أقامه لها القادة الاولون حجرا على حجر غير مأسوف عليه من قبل أحد •

ولم يكن فى كل تلك الاحداث ما يثير الدهشة فى شىء ، غير أن الذى يحير لب الديموقراطيين الاشتراكيين ويثير حدة خلافهم مع الشيوعيين ، هو موقف القادة الشيوعيين قبل تلك الاممية وفى خلالها ، من بعض الاحداث التاريخية بما يتناقض والدعاوى الشيوعية تناقضا يجردها مما افترضوه لها من تحررية • ففى السنوات بين ١٨٤٠ — ١٨٥٠ وقف ماركس ضد الحركة الوطنية للتشيكيين والسلاف الجنوبيين • ولكن لماذا ؟

يجيب ستالين على هذا السؤال بمنطق متداع فيقول : لأن التشيكيين والسلاف الجنوبيين كانوا فى تلك الايام « شعوبا رجعية » !

فستالين يعترف بأن حركة الشعبين الجيكى والسلافى كانت « حركة وطنية » فى تلك السنوات ، ومع ذلك فأنها لا تستحق العطف والتأييد فى كفاحها من أجل الحرية لسبب بسيط ، هو أن هذين الشعبين المكافحين لم يكونا شيوعيين أو تقدميين آنذاك ، انما كانا « شعوبا رجعية » ، فتأمل !!

وهكذا دونما خجل ، يسحق ماركس ، ومن بعده ستالين ، كل القيم الاخلاقية للكفاح السياسى الاصيل • والا فأين وجـه الرجعية فى حركة شعب ينوى القيام ولو بخطوة واحدة فى سبيل تحقيق مكسب واحـد من مكاسب الحرية ؟ أليس مجرد التحفز للقيام بمثل هذه الخطوة يعتبر قوة من **شأنها دفع عجلة التيار التحررى الى الامام ولو للحظات ؟ فالمفروض أن يكون هناك فى كل مكان « أفراد رجعيون » • أما أن تكون هناك « شعوب رجعية » تقوم بحركة وطنية تحررية ، فهذا ما لا يتصوره العقل • جائز أن يكـون هناك شعب مكون من أفراد غالبيتهم أو كلهم من الرجعيين ، فيصح والحالـة هذه ، جريا مع منطق ستالين ، أن يتصف هذا الشعب بالرجعية ما دام فى حالة سكون لا يقوم بشىء فى سبيل حريته واستقلاله • أما أن يتحرك هذا الشعب « حركة وطنية » فى سبيل انعتاقه من نير الامبراطورية النمسوية فأن الصاق صفة الرجعية به ، وعدم تأييـد حركتـه ومساعدته على استرجاع كرامته ، سلوك لا يصح أن يصدر عن رجل عقائدى يدعى بأنه يعمل ضـد السيطرة الاجنبية كماركس مثلا ، انما يمكن أن يصدر بالضبط عن صديق من أصدقاء الامبراطورية النمسوية والسيطرة الجرمانية ، فما معنى هذا ؟**

على أن الذى كان يجمد الدم فى العروق ، قبل أن يترك للمرء مجالا

للتفكير ، هو الموقف العدائى الذى اتخذه ماركس من قضية حرية الشعب الفرنسى فى الحرب البروسية الفرنسية عام ١٨٧١ ، وهو ما أسخط جموع الديموقراطيين الاشتراكيين فى أوربا .

يجمل كاتب الموسوعة الشيوعية هذا الموضوع ويزيفه بمنطق متهافت لا يستقر على قاعدة فيقول :

« وقد وجه ماركس بأسم المجلس العام نداءين بتاريخ ٢٣ تموز و١٩ أيلول ١٨٧٠ حدد فيهما صفة هذه الحرب ، وأوضح مراحلها وأعطى تقديرا حول كل منها . فبقدر ما كانت الحرب فى مرحلتها الاولى ، ومن حيث مضمونها الموضوعى ، تهدف الى استكمال توحيد المانيا ، اعتبر ماركس هذه الحرب ، من جانب المانيا ، حرباً تقدمية وان القضاء على الامبراطورية البونابرتيه أمر مرغوب فيه » .

نعم ، ان القضاء على الامبراطورية البونابرتيه أمر مرغوب فيه بقدر **ما يتعلق الامر بالوحدة الوطنية الالمانية ما فى ذلك شك . ولكن أما كان الاجدر بماركس وهو الآيديولوجى الكبير ، أن يتقدم بفتوى أخرى من شأنها ايقاف الزحف الى داخل فرنسا بدلا من « تحليل » دماء العمال والفلاحين الفرنسيين وعرب الجزائر المجندين فى الجيش الفرنسى والذين سحقتهم العسكرية البروسية فى سهول فرنسا ومرتفعاتها بالفعل ؟ ترى ألم يقدر ماركس ومعه رفيقه انجلز الذى يدعى الشيوعيون بأنه كان من الخبراء المتعمقين بالشؤون العسكرية أيضا ! عظم المأساة التى سيشهدها الكادحون المجندون من الفرنسيين عند الالتحام بالجيش البروسى الزاحف ؟**

الظاهر انهما قدرا ذلك « كل التقدير ! » فقد حذر ماركس العمال الالمان من النظر نظرة واحدة الى المصالح الوطنية لالمانيا والى المصالح العائلية للملكية البروسية ومن الخلط بينها • وذاك هو حصيلة كل ما كان لدى ماركس وانجلز من عطف وشفقة على المجندين الكادحين من كلا الطرفين ، وهو تحذير ، بل تهويش عقائدى ثم سياسى لم يفت فى عضد الجنود الألمان أو يوهن من عزمهم أو يخفف من حماسهم عندما اندفعوا كالعاصفة يمزقون صدور البروليتاريا الفرنسية المجندة فى سيدان بالسلاح الابيض •

وبعد « خراب سيدان » ، عندما أعلنت الجمهورية فى باريس فى ٤ ايلول ١٨٧٠ ، نكص ماركس مرغماً عن مواصلة تشبثه برأيه فاعترف بأن الحرب قد أصبحت تقدمية و « وطنية تحريرية » من قبل فرنسا و « الحاقية » أى اعتدائية ، من قبل المانيا التى استكملت وحدتها •

واذ يعترف ماركس بأن الحرب قد أصبحت « وطنية تحررية » من جانب فرنسا ، يعود ليقف من الحكومة الديموقراطية للجمهورية الفرنسية الجديدة التى كانت تدير دفة تلك الحرب ، لاسترجاع حرية الشعب الفرنسى، والتى أطلق عليها اسم « حكومة الدفاع الوطنى » يعود ليقف منها موقفا عدائياً سافرا فينعتها بأنها « حكومة الخيانة الوطنية » • لماذا ؟ لانها حكومة لا تتألف من عناصر شيوعية !

فالحكومة التى تدير « الحرب الوطنية التحررية » فى عرف ماركس ، تكون خائنة اذا لم تكن مؤلفة من شيوعيين ، ومخلصة جدا اذا كانت مؤلفة منهم ! فالحرب هى نفس الحرب ، وميدان القتال هو نفس الميدان ، والاهداف

المرجوة من وراء تلك الحرب هى نفسها باقية لم تمسسها يد ، فعلام هذا التعصب السياسى الضيق الذى ينال من قضية تحرير الشعوب ؟ أليس وضع العراقيل فى طريق تلك الحكومة بهذا الاسلوب الماركسى الفريد ، كان مما يفت فى عضد « الحرب الوطنية التحررية » ؟

على أن الذى حدث فى لندن هو اعتراف الحكومة البريطانية بالحكومة الفرنسية الجديدة تحت ضغط الاجتماعات السياسية الديموقراطية الاشتراكية الضخمة التى كان يعقدها العمال البريطانيون تأييدا لتلك الحكومة الثورية على الرغم من الموقف السلبى الذى اتخذه ماركس منها ، بعدها ، وبين عشية وضحاها اعترف ماركس نفسه لأولئك العمال البواسل بضرورة الاعتراف بتلك الحكومة ، وراح يسبح مرغما مع التيار ، وانا لله ....

وهو بعد أن أيد الاعتراف بحكومة فرنسا الجديدة التى كانت تدير « الحرب الوطنية التحررية » مرغما تحت ضغط الديموقراطيين الاشتراكيين، راح يتآمر على هذه الوطنية والتحررية التى كانت تتصف بها تلك الحرب ، فأوصى العمال الفرنسيين بالحاح باستغلال الحريات الديموقراطية من أجل انشاء حزب بروليتارى لسحق تلك الحكومة واعدامها بالرصاص . وهكذا يكون الاخلاص الماركسى لقضايا تحرير الشعوب !!

على أن ماركس ، كما يقول الكتاب الشيوعيون ، « قد حذر البروليتاريا الفرنسية من انتفاضة تهب فى غير حينها » من أجل اعدام تلك الحكومة . ثم يستطرد هؤلاء الكتاب فيقولون : « ولكن عندما غدت الانتفاضة أمرا واقعا ، حيا ماركس بحرارة المبادرة الثورية للجماهير التى كانت تصعد نحو

السماء » فى ١٨ آذار ١٨٧١ ، وذلك كى لا تفلت فرصة العمر •

وهكذا ، عاطفيا ، لا منطقيا وليس على أساس من يقظة أو تبصر ، صفق ماركس ورفاقه للمجانين الذين ائتمروا بأمرهم ، وراحوا يضربون بجبن من الخلف ، الحكومة المشرفة على ادارة « الحرب الوطنية التحريرية » فى فرنسا ، مشكلين لأنفسهم ما سمى ب « كميونة باريس » •

كان الجيش الالمانى معسكرا فى ضواحى باريس وعلى ضفاف السين ، فما الذى كان يرجوه ماركس أو أنجلز من قيام كميونة باريس وطعن الحكومة الديمقراطية من الخلف فى تلك الظروف العصيبة ؟

هل كان يمكن لسيطرة الغوغائية على مقاليد السلطة ان تدفع بالجيش الالمانى الى خارج حدود فرنسا ، وذلك بضرب مؤخرة الجيش الفرنسى من قبل الشيوعيين فى باريس ؟ وهل كان مثل ذلك العمل الغادر يؤدى الى غير تثبيت أقدام الجيش الالمانى فى مواقعه التى احتلها داخل فرنسا كيما يملى الشروط التى يريدها على المغلوبين ؟ هكذا كان يتساءل الديمقراطيون الاشتراكيون تلك الايام ، وعلى هذا الاساس ارتفعت صيحاتهم وازداد صراعهم شدة مع الشيوعيين •

وكان الظاهر ان حكومة الجمهورية الديمقراطية الجديدة هذه التى طعنها الشيوعيون من الخلف ، قوية فى نفوذها الشعبى ، وغير متساهلة مع المحتلين الالمان حول شروط الصلح مطلقاً • وذلك انه منذ أسر نابليون الثالث فى مطلع سبتمبر ١٨٧٠ ، بقيت هذه الحكومة تواصل القتال مدافعة عن فرنسا بكل بسالة • وعلى الرغم من تسليم باريس فى ٢٦/كانون الثانى/١٨٧٠ ،

فان معاهدة الصلح لم تعقد بصورة نهائية الا فى مايس ١٨٧١ • فاذا علمنا بأن تمرد شيوعيي باريس قد بدأ فى ١٨ مارت من تلك السنة ، أدركنا جيداً الموقف الحرج الذى وقعت فيه الحكومة الديمقراطية معاهدة فرنكفورت ، ومدى الخيانة التى اقترفها هؤلاء الغوغاء الشيوعيون باحراجهم المفاوض الفرنسى بطعن فرنسا من الخلف فى أحرج ساعة من حياة شعبها تلك الايام •

وبعد قيام التمرد الغوغائى العنيف هذا ، بادر بسمارك الى الضغط على حكومة الدفاع الوطنى من الناحية النفسية ، فتقدم يعرض مساعدته لانقاذ سكان باريس الأهليين من دموية الشيوعيين الذين أشاعوا فى المدينة ضروب الارهاب من سلب ونهب وقتل وحرائق مخيفة كادت تجهز على باريس • بعدها تم له ما أراد حيث اضطرت الحكومة الديمقراطية الى توقيع معاهدة فرانكفورت على هواه فى مايس ١٨٧١ وتمرد الكيمونيين وغوغائيتهم قد بلغت الاوج • بعدها راحت الفيالق الالمانية تشدد النكير على الشيوعيين الى أن مكنت الجيش الفرنسى من القضاء عليهم وسحق آخر معاقلهم فى مونتمانتر • ويصف الفيلد مارشال هندنبرغ الذى كان من الضباط الاحداث الذين اشتركوا فى تلك الحرب ، يصف الحال فى مذكراته فيقول :

« وفى أواخر أبريل أخذت الحرائق العظيمة ترشدنا الى الاماكن التى يتقاتل فيها الفريقان • وأتذكر انني كنت أشعر فى ٢٣ مايس خاصة بأن كل ما هو داخل باريس ستأتي عليه أيدى المحو والتدمير • وكان الفارون من داخل المدينة يصفون لنا حالها الداخلية بشكل فاجع • وحقيقة الواقع

لم تكن أقل هولا مما كان يصل الى آذاننا • فمن حرائق الى سلب الى قتل ؛ وبالايجاز ، كل أعراض المرض الذى تصاب به الدولة المهزومة والذى يطلقون عليه اليوم اسم البولشفية ، ظهرت من قبل فى ذلك العهد فى باريس •••• وكانت الالفاظ التى تخرج من أفواه هؤلاء الشيوعيين ، تدل على ان الشعور الوطني قد تلاشى عندهم تماما ، على الرغم من قوة العقيدة الوطنية المتمكنة من نفوس ابناء الشعب الفرنسى • انهم كانوا يقولون : نحن نفتخر بضرب حكومتنا من الخلف على مرأى من أعدائنا • »

والفيلد مارشال هندنبرغ ، وهو من اعداء حكومة الجمهورية الفرنسية الديمقراطية تلك الايام ، يدلي بشهادته فى مذكراته حول اصرار تلك الحكومه على الاستمرار فى المقاومة والقتال بعد معركة سيدان فيقول :

« ان عمل الجمهورية الفرنسية فيما يتعلق باشهار السيف الذى اضطرت الامبراطورية على اغماده ، لا يحمل مجرد تظاهر وطني ، وانما هو عمل له تأثير عظيم فى مستقبل فرنسا • ولا أزال اعتقد بأن فرنسا لو كانت قد ألقت سلاحها اذ ذاك ، لفقدت أعظم جانب من كرامتها الوطنية • بل ولفقدت كل أمل لها في المستقبل الحسن » •

تلك هى حكومة الدفاع الوطنى التى وصفها ماركس بـ « حكومة الخيانة الوطني » •

ان خيانة الغوغائية الشيوعية بطعنها فرنسا وحكومتها الثورية الديموقراطية من الخلف قد عرت الشيوعيين أمام شعوب القرن التاسع عشر الاوربية فعزلتهم من صفوفها وبدأت جماهير تلك الشعوب تلتف حول

الديموقراطيين الاشتراكيين الذين شجبوا قيام كميونة باريس .

وبعد الاممية الاولى ، عندما أصبح هناك تقارب بين الاحزاب الديموقراطية الاشتراكية لتكوين الاتحاد الديموقراطي الاشتراكى الدولى ، وجد الشيوعيون ، وعلى رأسهم فريدريك أنجلز ، أنفسهم فى عزلة تامة فحاولوا مستميتين النفوذ الى صميم تلك الحركة بغية وضع اليد على قيادتها . وعندما قامت الاممية الثانية بعد مؤتمر باريس عام ١٨٨٩ ، وعلى الرغم من جميع السبل التى سلكها أنجلز ، فانه لم يستطع من حمل تلك الاممية على تبني مبدأ انتهاج العنف لاقامة الاشتراكية . ذلك ان الروح الديموقراطية كانت تتغلغل فى نفوس ابناء الشعوب الاوربية فى ذلك الوقت يوما بعد يوم . وكان مفهوم الحريات الديموقراطية قد أخذ ينشر ظله الظليل على ميادين الحياة جميعها ، فبدأ للشعوب الاوربية ، وعلى رأس منظماتها الاحزاب الديموقراطية الاشتراكية ، بأن تضحية الحريات الديموقراطية التى يتمتع بها الافراد والجماعات ، فى سبيل نيل مكاسب اقتصادية ضيقة لطبقة واحدة عن طريق الثورة الدامية التى تزيل جميع الطبقات الاخرى ، هو ضرب من الجنون . لذلك كان التفكير الديموقراطى الاشتراكى ذلك الوقت يسعى جاهدا لاقرار التوازن بين مبدأ الحرية الديموقراطية وبين مبدأ المساواة الاقتصادية وعدم التضحية بأحد المبدأين فى سبيل الحصول على الآخر .

ومن قبل ، كان كل من ماركس وأنجلز قد تنبأ بقرب قيام ثورة فى ألمانيا على غرار الثورة الفرنسية التى قامت عام ١٧٨٩ ، كمقدمة للثورة الطبقية الشيوعية ، وذلك فى « البيان الشيوعي » الذى وقعاه سوية عام ١٨٤٧ .

وبعد ذلك البيان ، حتى هذا اليوم ، لم نسمع قط بتحقق شيء من وقائع تلك النبوءة الحارة ، فلم يشهد التاريخ مقاصل ألمانيـــة تنصب فى ساحات برلين للناس كما سبق وأن حدث فى باريس ، انما العكس بالضبط هو الذى حدث . فقد رأينا الملكية تتطور الى امبراطورية بعد معركة سيدان وسـقوط باريس ، كما رأينا تضخم الجيش الالمانى بما يتنافى وامكانية قيام أى نوع من أنواع الثورات الداخلية نظرا للمنزلة الشعبية التى أصبحت لدى ابنـــاء الشعب الالمانى كافة حيث كانوا يرون فيه القوة الوطنية الاصيلة التى حفظت للقومية الالمانية ولالمانيا كرامتها ووحدتها ومنزلتها بين الامم ، وأشاعت فى البلاد أسباب الامن والاطمئنان كوسائل ضرورية لممارسة المواطنين لحرياتهم فى ميدان العمل والكسب ، وهو ما جلب الرفاه الاقتصادى لمختلف ابنـــاء الامة الالمانيـــة .

على ان الغريب فى الموضوع ، هو ان نرى أنجلز ، على الرغم من عدم وقوع هذه الثورة المشابهة لثورة ١٧٨٩ الفرنسية التى سبق وأن تنبأ مـــع ماركس بقرب وقوعها كتمهيد للثورة الطبقية البروليتاريـــة ، نراه يدعـــو الحزب الديموقراطى الاشتراكى الالمانى بعد مرور أكثر من أربعين سنة على تلك النبوءة الكاذبة ، وفى عهد الاممية الثانية بعد مؤتمر بروكسل عام ١٨٩١ يدعوه الى الثورة البروليتارية بأن « يهيىء الطبقة العاملة للثورة القريبـــة ! ، ولبسط ديكتاتورية البروليتاريا ! » .

والواقع ، فان ألمانيا ، كمركز من المراكز العمالية الكثيفة ، كانت ولم تزل المثل التاريخي الرائع لتكذيب كافة النظريات الشيوعية بخصوص قيام الثورة الطبقية .

كذلك دعا ماركس ومعه أنجلز الى الثورة الطبقية فى انكلترا وتنبآ بها ، وهى البلد الذى كان يتقدم فيه العمال من نصر الى نصر منذ مطلع القرن التاسع عشر ، بصورة سلمية ديموقراطية سريعة مما لم يدع هناك المجال لاحد أن يفكر بثورة طبقية حادة قط • وفى انكلترا ، كانت تواجه المفكرين السياسيين فى القرن التاسع عشر مسألة كيفية « تطبيق الديموقراطية » اكثر من مسألة تحديد أهدافها ومبادئها ، اذ أصبحت أفضلية الديموقراطية على غيرها من الانظمة أمرا مفروغا منه • وكان الخلاف يجرى حول ايجاد أفضل السبل السلمية لتحقيقها عمليا لايجاد مجتمع يتوازن فيه مبدأ المساواة ومبدأ الحرية وتنسجم فيه حرية الفرد مع مصلحة المجموع • ومهما كانت الحال ، فقد جاء جواب الاوساط الديموقراطية الاشتراكية الاخير على دعوة ماركس للثورة الطبقية ، فى عام **١٨٩٩** حيث انعقد مؤتمر النقابات العمالية واتخذ قراراً بدعوة كافة الهيئآت الاشتراكية والمنظمات التعاونية من أجل الاتحاد لتحقيق الاهداف المشتركة ، فتم ذلك الاتحاد ضمن الحزب السياسى الجديد ، « حزب العمال » الذى جمع بين دفتيه آنذاك جميع هذه الاوساط ، واندمجت فيه الجمعية النقابية الاشتراكية التى أصبحت له بمثابة الدماغ المفكر الذى يرسم الخطط ويصنع التصاميم ويعين الاهداف •

وبعد سقوط القيصرية الروسية ، استطاع الديموقراطيون الاشتراكيون الحصول على ثقة كافة طبقات الشعب الروسى ، فتولوا مهام الحكم فى روسيا • غير ان انتهازية كرنسكي وخيانته لامانى الشعب الروسى بتآمره مع الشيوعيين على المبادى الديمقراطية ليسندوه فى البقاء فى كرسى الحكم ،

مكنت الشيوعيين من الوثوب الى السلطة ليقيموا ديكتاتوريتهم التى عصفت بكيان روسيا الديموقراطى الجديد • بعدها راح الشيوعيون ينكلون بالديموقراطيين الاشتراكيين الروس ، ناعتين اياهم بأقذر ما صدر عن الشيوعيين من سباب •

وبعد انتصار الحلفاء على المانيا فى الحرب الاولى ، كان التسامح الديموقراطى المفرط من جانب الديموقراطيين الاشتراكيين ، قد فسح المجال للنازية التى أدت برفع هتلر الى السلطة ؛ بعدها وقع مولوتوف مع ريبنتروب ميثاقهما ضد الديموقراطية الاشتراكية وجميع أشكال الديموقراطية والحريات ، ولتشهد البشرية مجزرة رهيبة لم تشهد لها مثيلا من قبل •

والآن ما هى الديموقراطية الاشتراكية ؟

لا بل قبل الاجابة عليه ، ما هو سر اختلافها مع الشيوعية ؟

وجه الخلاف مع الشيوعية

تختلف الديمقراطية الاشتراكية مع الشيوعية وتكافحها سياسياً وعقائدياً لان :

١ ـ الشيوعية لا تقر الديمقراطية ولا تعترف بها جملة وتفصيلا لانها ، أى الشيوعية ، تؤمن بديكتاتورية الطبقة الواحدة التى لا تسمح بالحياة الحرة لبقية الطبقات . ان الديمقراطية تعتقد بحرية الرأى وتسمح للجهات المختلفة التفكير بابداء رأيها فى الشؤون العامة التى لها مساس باسلوب حياة المجتمع وكيانه ومقوماته وفلسفته السياسية القائم عليها ، وذلك فى حدود القانون بما لا يعرض حياة الافراد والمجتمع الى الخطر . مثال ذلك انها لا تسمح لمجنون أو ذى عقدة نفسية بأن يكتب مقالا سياسياً يدعو فيه الناس الى حمل السلاح واقامة مجزرة فى بحر

من الدم كى تتحقق ديكتاتورية الطبقة الواحدة .

وان الحزب الشيوعى ، كما يزعم الشيوعيون ويدعون ، هو الذى يمثل الطبقة العاملة ، وان رأى لجنته المركزية ، أو بالاحرى رأى سكرتير هذه اللجنة ، هو الذى يمثل وجهة نظر الحزب ، وبالتالى وجهة نظر الطبقة الواحدة المسيطرة التى ليس لغيرها الحق بالتصرف فى شؤون المجتمع كما يعتقدون . وهذا الاتجاه الدبكتاتورى ، يتعارض بداهة مع ابسط المفاهيم الديمقراطية الهادفة الى تعزيز الديمقراطية الاشتراكية وتعتبرها من مقومات الكرامة الانسانية التى يتميز بها الفرد والمجتمع على حد سواء فى اطار الحياة المدنية .

٣ – الشيوعية تؤمن بـ « شيوعية المرأة » استناداً على آراء أنجلز فى العائلة ، وهو ما ترفضه الديمقراطية الاشتراكية رفضاً باتاً وتحاربه بكل قواها . ولقد نص البيان الشيوعى الذى وقعه ماركس وانجلز على شيوعية المرأة بصراحة وبأسلوب غريب من شأنه سحق القيم الانسانية الخيرة والروابط الاجتماعية التى قدسها الانسان عبر حياته الطويلة على ظهر هذا الكوكب . ان الاسلوب الفلسفى الذى جاء به ماركس وانجلز بهذا الخصوص ، أصبح مما يدعو المفكر الديمقراطى الاشتراكى الى الاشفاق عليهما وعلى الفلسفة التى انحدرا بها الى مثل هذا الدرك البائس ، ثم الى الاشمئزاز من هذا الاتجاه الشيوعى الذى يخضع نصف الجنس البشرى الى نوع من العبودية الكريهة ، بل ويرجع بالجنس البشرى كله الى خارج حدود المدنية بشكل تأنف منه حتى

بعض الحيوانات المتميزة بشيء من الذكاء وغريزة الالفة والترابط •

وفى السنوات الاولى من الثورة البولشفية ، وتنفيذاً لرأى انجلز فى المرأة والعائلة ، فان من جملة ما عمد الشيوعيون اليه ، هو تحطيم الرابطة العائليةفكانأن اعتبروا جميع نساء الطبقاتالاخرىملكاً لهموفى عداد اموال الشعب كما يزعمون والشعب فى عرفهم كما هو معلوم ، هم الحزب الشيوعى وكل من يتقبل الآراء والنظريات والسياسة الشيوعية • وقد روى شاهد عيان عراقى عاش أحداث الثورة البولشفية فى روسيا ، هو اللواء المتقاعد صديق القادرى ، فقال فى مذكراته ، بأن نساء غير الشيوعيين وبناتهم كانتتوزع على أعضاء محاكم الحزب والثورة وأفراد العصابات الحمراء المختلفة وعلى الرؤوساء والمعتمدين البلاشفة ، الا القبيحات الصورة منهن فأنهن كن يمنحن لافراد الجيش الاحمر ، وقد كان هناك من البلاشفة البارزين من اقتنى الخمسين أو الستين فتاة جميلة يتلذذ بهن كيف يشاء كما يتلذذ بأى شيء آخر من ملكه الخاص • أما النساء الشيوعيات فكانت كل منهن تجبر على اتخاذ صديق خاص لها يقوم مقام الزوج • فاذا رفضت احداهن ولم توافق ، فانها توضع تحت مراقبة البوليس ويعطى لها « دفتر نوبة » يحتوى على اسمها وتصويرها وتجبرها السلطة على السماح للرجال بأتيانها مرتين فى الاسبوع على الاقل ، ويحرر ذلك فى الدفتر المعطى لها ، وتفتش هذه الدفاتر فى كل اسبوع من قبل البوليس • فاذا لم تكن قد قامت بالواجب ، فانها كانت ترسل الى احدى قطعات الجيش وتعاقب بمضاعفة

عدد الزائرين •

هذا الخط من الهمجية التى اتخـذته الغوغـائية البولشفيـة ، كان قد أقام الشعب الروسى وأقعده وأصبح مصدر خطر شديد على الثورة الشيوعية ، وهو ما دعا القادة البلاشفة الى التخفيف من غلوائهم فى ظلم المرأة فألغيت دفاتر النوبة فى عام ١٩٢٢ ، بعدها أصبح الزنى الاختيارى بالنسبة للمتزوج والمتزوجة بالاضافة الى العزاب ، شيئاً مشروعاً لا يحق لاى من الزوجين أو الآباء والأمهات الاعتراض عليه • وكـان هـذا التخفيف من قبل البلاشفة سياسة وقتية اقتضتها ظروف المرحلة التى يعيش فيها الشعب الروسى ، فرأوا أن « التدرج » فى تحطيم الروابط العائلية أضمن لبقاء الحزب ، على أن يتم سحق هذه الروابط جميعهـا فى المديات البعيدة •

ان الديمقراطيات الاشتراكية على علم وبينة بالاهـداف البعيدة التى ترمى اليهـا الشـيوعية فى مجال الاجتماع ، ومنها مـا يتعلق بالمرأة والعائلة • وان هذه الديمقراطيات ، ترى فى سحق العلاقات الانسانية المتمثلة بالروابط العائلية ، غدراً بكرامـة الجنس البشـرى واعتداء على حق الفرد فى الحياة الكريمة الخالية من الشوائب الهمجية القديمة ، تلك الشوائب التى استند عليها أنجلز عندما وضع كتابـه التى تضمن آراءه فى العائلة ، والتى انتهت به الى اضفاء صفة الشرعية على « شيوعية بدن المرأة » فى المجتمع • عليه فان هذه الديمقراطيات ستبقى فى حرب أبدية مع هذا الاتجاه الهمجى ووسـيلتها فى ذلك

الاقناع والتشريع الديمقراطى الهادىء وليس العنف .

٣ ـ الشيوعية لا تؤمن بشرعية الملكية الخاصة فهى ترى بأن مصادر الانتاج ووسائله والمنتجات الاستهلاكية وغير الاستهلاكية ملك للدولة، وبالتالى ملك للحزب الشيوعى ، لان الحزب فى نظرهم هو الذى يمثل سلطة الدولة . وهكذا ، وبكل بساطة ، انتقلت صفة الدولة من لويس الرابع عشر القائل « انا الدولة » ، الى سكرتيرالحزب الشيوعى ، مع الفارق فى طبيعة الاجتماع الذى كان يسود مملكة لويس والاجتماع الذى يسود مملكة لنين .

عليه فليس للانسان الفرد فى ظل مملكة العبيد الشيوعية الا أن يكد ويكدح . وأما جزاؤه على كده وكدحه هذا ، فهو ما يسد حاجاته الضرورية فقط . ان الشيوعية تتمسك بالقاعدة الاقتصادية القائلة : « من كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته » . أما بخصوص الملكية الزراعية والارض ، فانها كذلك من ممتلكات الدولة ولا يجوز لاى كائن الاحتفاظ بشبر واحد منها مهما كانت الاسباب .

أما الديموقراطيات الاشتراكية ، فأنها تسمح ، بصورة عامة ، بوجود الملكية الخاصة الى الدرجة التى لاتكون فيها خطرا على خير المجموع والصالح العام . انها لا تسمح بالتركيز والاحتكار وترفض مبدأ وجودهما أصلا فى كل فروع الاقتصاد وتحاول أن تضع الحلول السليمة لتوازن مبدأى الحرية والمساواة مع بعضهما ، وهو ما سنتناوله فى غير هذه الصفحات .

٤ ـ الشيوعية تؤمن بالعنف والدموية كأسلوب للعمل السياسى ، فهى تحاول الاجهاز على خصومها بالقوة وتحجب عنهم حتى حق الحياة ، وهو اسلوب همجى لا انسانى ترفضه الديموقراطيات الاشتراكية وتأباه وتحاربه وتقاومه ، لا عن طريق العنف أيضا ، انما بالاساليب الديمقراطية فى التربية والثقافة والاقناع ، ثم بالتشريعات الديمقراطية الرادعة الكفيلة بحماية المجتمع والحفاظ على حرية الرأى والفكر •

ان جرائم القتل العام والحرائق والنهب والسلب والارهاب التي أشاعتها الكميونه فى باريس عام ١٨٧١ ، قد روعت الشعوب الاوربية فعزلت الشيوعية عن نفسها منذ القرن التاسع عشر حتى هذا اليوم ، تماماً كما بدأت تعزلها شعوب الشرق الاوسط وبقية الشعوب الاسيوية والافريقية بعد الجرائم والمجازر التي ارتكبتها الشيوعية في العراق •

ان اسلوب الديموقراطية الاشتراكية السياسي في الاعراب عن نفسها وبناء كيانها الاشتراكى ، هو طريق الثورة البيضاء في التدرج السلمى الهادىء الرصين دونما دموية أو عنف • انه طريق الاقناع والاقتناع ثم طريق التشريع والقانون النابع من الارادة العامة ، ارادة الشعب ، كل الشعب •

٥ ـ الشيوعية لا تؤمن بالوطنية ، كذلك فهى لا تؤمن بالقومية ، وهى تنزل بالكائن الانسانى الى منزلة الحيوانات فتجرده بذلك من الروابط النبيلة التى تشده الى وطنه وقومه وأهله الأقربين • وللشيوعية ، لسحق هذه الروابط العزيزة على الانسان ، لغو فلسفى كثير • ومن

هذا اللغو ، ما جاء في بعض « بيانات سمولنى » ـ وسمولنى هذه جامعة للبنات اتخذ الشيوعيون من بنايتها مقراً لهم فى بطرسبرج بعد ثورة اكتوبر ١٩١٧ ـ التى أصدرها البلاشفة فى مطلع الثورة فى روسيا ، اذ جاء فى البيان الرقم ٤ بأنه : « لو عاش البشر مثلما تعيش الحيوانات والطيور ، لكنا نراهم الآن كالاخوان لاشقاق بينهم ولا نزاع ولم تكن الارض ملطخة بدمائهم فى ميادين الحروب • وان كلمة القومية والوطن والدين عبارة عن اصطلاحات وضعها بعض الاشرار الخ » •

وهكذا ، وبكل ما أوتى هؤلاء الشيوعيون الاشرار من ضعف عقلى مخرب هدام ، يرون بأنه لا يمكن تجنب الحروب ، الا بأن تجرد الانسان من صفته الانسانية ، ومن روابط القومية المتغلغلة فى عروقه منذ ألوف السنين ، ومن روابطه بوطنه التى تملأ حيز وعيه وشعوره وادراكه ، ثم الهبوط به الى حالة من الحالات البدائية غير الواعية التى تعيش فيها «الحيوانات والطيور» وكأن لم تعد هناك من وسيلة أخرى لمنع الحرب غير هذا البؤس •

ان الديمقراطيات الاشتراكية ترفض هذا اللغو الفلسفى البائس الذى لا يمت الى واقع شعور الكائن الانسانى وحقيقته وطبيعته الاجتماعية بصلة • بل وعلى العكس من ذلك ، فأن هذه الديمقراطيات تؤكد عن طريق مناهجها الثقافية والتربوية الديمقراطية على ضرورة تنمية الحس القومى والوطنى ، كوسيلة لدفع القوميات والشعوب المختلفة نحو المباريات السلمية فى ميادين الأدب والعلم والفن فى مختلف مجالات

التطور المدنى والحضارى الصاعد ، ثم تبادل ثمار هذه المباريات فيما بينها كوسيلة لتعزيز الروابط الانسانية على ظهر هذا الكوكب ، وهو ما يحول دون قيام الاعتداء والحرب . وهكذا ، فأن الديمقراطيـة الاشـتراكية تأخذ بيد الفرد « صعداً » نحو الرقى والتطور اللائق بكرامة الانسان وعزته القومية والوطنية ، لا « هبوطاً » الى الدرك البائس ، درك الحياة البدائية التى تعيشها « الحيوانات والطيور » التى تتجه اليه الشيوعيـة فى مسيرتها الرجعية الهمجية .

٦ ـ الشيوعية لا تؤمن بالدين ، فهى مادية ، تكفر بالروحانيات ، وبكـل ما هو خارج حـدود المـادة ، وتحاربه بشـراسة وضـراوة . وعن الشيوعية صدرت القولة المعروفة : « الدين أفيون الشعوب » ، وهى قولة ، أو كلام أطلقه الآيديولوجيون الشـيوعيون اعتباطـاً بعد أن تجردوا من كل رابطة مقدسة تشد الفرد الى تراثه الذى وصل اليه عبر القرون ، عندما كان يجد فى السير بحثاً عن مصادر الفضيلـة والخير العـام فى حياته الاجتماعية .

أما خطر الالحـاد فى المذهب الشيوعى فهو انه سياسة مرسومة للدولة ، مفروضة على سواد الشـعب فرضـاً . فأنت لست حراً فى النظام الشيوعى فى أن تكون مؤمناً أو ملحداً ، بل يجب عليـك أن تكون ملحداً وممعناً فى الالحـاد ، فتتجرد قسرا من كل عقيدة دينية ، وتقطع كل صلة وجدانية بينك وبين خالق الكون . الخطر أذن هو شيوع هذا الالحاد الالزامى فى سواد الشعب ، بحيث لا يكون الفرد

بمعصم عن العقاب ، ولا يكون اهلا لاية رعاية من الدولة ، أو لتقلد وظيفة عامة ، أو لممارسة عمل يقتات منه الا بعد التحقق من مدى ألحاده • فاذا تبينت السلطات العامة ، بعد الفحص الدقيق ، ذرة واحدة من العقيدة فى خفايا وجدانك ، فأنت عدو الشعب ، وخصم الحكومة وفريسة مهيأة للتشريد والتعذيب •

أما الديمقراطيات الاشتراكية ، فانها على العكس من ذلك تماماً • انها تنزع نزوعاً حاراً نحو حرية العقيدة ، فهى لا تحارب الدين ، ولا تدخل الى أعماق الانسان لتقتل ضميره وتنتزع أحاسيسه الدينية منه انها ترى فى الدين رمزاً للفضيلة والاخلاق • لذلك فهى تشمل المؤسسات الدينية ، وجمعيات هذه المؤسسات الخيرية ، بكل رعايتها • ثم انها تحارب الطائفية الدينية لانها ترى فيها خروجا على مبدأ « الاخوة » الديمقراطى • ومن الديمقراطيات الاشتراكية الحديثة من تؤكد على وجوب وجود دين الدولة الرسمى ، تماماً على عكس ما تفرضه الشيوعية لنفسها أو على نفسها من ألحاد رسمى •

٧ ـ واخيراً فان الشيوعية لا تؤمن بوجوب الابقاء على الدولة • انها ترى فى الدولة مؤسسة تحتوى على جهاز ضاغط ، هو الجهاز الديوانى العسكرى ، أى المؤلف من دواوين الادارة والتشريع والقضاء ، ومن الجيش • انها ترى فى هذا الجهاز ، آلة من شأنها ممارسة الضغط على طبقة معينة لصالح طبقات أخرى لذلك فان الشيوعية تدعو الى سحق هذا الجهاز والقضاء عليه بالقوة والعنف ، وبلغو فلسفى صادر عن

ضعف عقلى وخيال دموى مسموم ينزع الى الهدم والشر •

واذ يلج ماركس وغيره من الايديولوجيين الشيوعيين فى هذا اللغو الفلسفى المتهافت ، فانه يبقى صامتاً لا يجيب بشىء عن ما هية الشىء الجديد الذى سيحل محل الدولة التى دمرها وسحقها ، فى الحياة الاجتماعية • انه يترك ذلك الى الغيبيات والمعميات والوقت ، ثم يتفلسفون بشقاوة ويقولون بأن الزمن هو الذى سيوجد الشىء الذى يحل محل الدولة بعد قيام ديكتاتورية الطبقة الواحدة ، وهو تخبط فلسفى يدعو الى الاشفاق ويفضح الدرك الغوغائى العميق الذى تنحدر اليه الافكار الهمجية المغرقة فى دمويتها وعداوتها للحضارة والمدنية والمجتمع ••• على ان الذى وقع وحدث فعلا بعد قيام ديكتاتورية الطبقة الواحدة فى المجتمع الشيوعى ، هو عدم تلاشى الدولة ، انما قيام أقسى أشكال الدولة المستبدة ، مما لم يشهده هذا الجنس البشرى فى تاريخه عبر الاحقاب والدهور قط •

ان الديموقراطية الاشتراكية ترى بأن القضاء على الدولة كمبدأ ، ينتهى بالمجتمع الى نوع من الفوضى البربرية العمياء التى تقوض أعمدة المدنية والحضارات وكل ركن من أركان المجتمع ، وتعود بالناس الى حياة الهمجية الأولى بخطوات رجعية سريعة خلال عاصفة من الهدم والهول والبؤس والدم • عليه فأن الديموقراطية الاشتراكية ترفض باشمئزاز ، الأخذ بمبدأ القضاء على الدولة وتؤمن بضرورة وجود الدولة الخيرة الصالحة ذات الحكومة الديموقراطية التى تصدر

فى جميع أفعالها عن مصلحة الشعب والخير العام • فالدولة فى نظر الديموقراطية الاشتراكية التى تؤمن بطبيعة الانسان الاجتماعية الخيرة، هى المؤسسة الاجتماعية الكبرى التى تنزع نحو الخير ، وتأخذ بيد الكائن الانسانى نحو مدارج الرقى الحضارى ، وتغذى قابلية الفرد فى الأبداع والابتكار فى مجالات الزراعة والصناعة والعلم والادب والفن لنشر الخير والمحبة والتعاون بين ظهرانى أفراد المجتمع •

ان الشيوعية بنزوعها نحو القضاء على الدولة ، تكون مغالية فى رجعيتها لأنها تسوق الانسان وترجعه الى حياة الغاب ما فى ذلك شك • أما الديموقراطية الاشتراكية ، فانها تكون تقدمية فاضلة وخيرة ، عندما تجعل من الدولة مؤسسة من شانها البحث عن اسباب الرقى والتطور الحضارى للفرد والمجتمع •

▽

ما هي الديموقراطية الاشتراكية

يظهر مما سبق بأن الديموقراطية الاشتراكية عقيدة سياسية تقوم على أسس فلسفية من شأنها الحفاظ على كرامة الانسان وحقه الصريح فى الحياة الكريمة ، فهى تحفظ له دينه وقوميته وحريته ووطنـــه ومجتمعه الممثـل بالدولة الصالحة ، ثم ملكيته الخاصـــة فى الحدود التى لا تصبح فيه هـــذه الملكية خطراً على حياة الدولة والمجتمع ·

انها عقيدة لا تفرض نفسها أو يفرضها أحد على المجتمع قسراً بالقوة ، انما المجتمع نفسه هو الذى يحاول أن يفرضها على نفسه بعد تاريخ طويل من النقاش والتجربة فى البحث عن عناصرها ومقوماتها الاصيلة التى تنسجم مع التطور الاقتصادى الجارى المستمر فى المجتمع ·

فالديموقراطية بصـورة عامة ، عقيدة سياسـية هدفها تحقيق الأخـاء

والحرية والمساواة لجميع أفراد المجتمع • وحيث أن الظرف الاقتصادى يكون مصدر شر وخطر على مبدأي الأخاء والحرية اذا لم يكن صالحاً ومنظماً ، لذلك اقتضت مصلحة المجتمع ، أن يشمل مبدأ المساواة ، بالاضافة على المساواة فى الحقوق السياسية ، المساواة أيضاً فى الفرص الاقتصادية لتحقيق التوازن الاقتصادى والعدالة الاجتماعية • ومن مبدأ التوازن الاقتصادي هذا ينبع الاتجاه نحو الاشتراكية ، عندها تتكامل الصفة السياسية لهذه العقيدة ، أعني العقيدة الديموقراطية ، فتصبح عندئذ « ديموقراطية اشتراكية » •

معنى هذا ان الديموقراطية والاشتراكية جزآن من عقيدة واحدة وهما متلازمان ومترابطان مع بعضهما ، لا يمكن الفصل بينهما اطلاقاً • وان حدث وجاز الفصل بينهما ، فان الحال ستنتقل فوراً الى اطلاق مبدأ الحرية دونما قيد أو شرط ، بحيث لا ينتهي أو لا يمكن ايقافه عند حد عندما يصبح خطراً على حقوق وحريات الآخرين ، فينعدم والحالة هذه ، أو يتعطل ركن الديموقراطية الآخر ، وهو مبدأ المساواة ، وتسود المجتمع عندئذ فكرة الرأسمالية الليبرالية التى تطلق لرأس المال الحرية الكاملة التى يصبح معها خطراً على حياة المجتمع عندما يبلغ درجات الاحتكار والتركيز • عليه فان الاعتقاد بان الديمقراطية لا توجد الا حيث توجد الرأسمالية الحرة ، هواعتقاد خاطىء • ومصدر الخطأ هنا ، هوالتصور بأن الديموقراطية تعنى الحرية فقط ، ولا تعنى المساواة أيضاً •

والجزء الأول من هذه العقيدة ، وهو « الديموقراطية » ، له جذور

عميقة فى التاريخ • انه بدأ كظاهرة اعتيـادية عند الشعوب المتحضرة على صـعيد بدوي ، لاسيما اذا كان عدد أفرادها قليلا بحيث يمكن للقبيـلة أن تجتمع لمناقشـــة مشـاكلها فى مجلس عام • وعلى هـــذه الصـورة بدأت الديموقراطية تترعرع على أرض اليونان الى أن بلغت عصرهـا الذهبى فى أثينا خلال الثلاثين سنة لحكم بركليس (٤٦١ – ٤٣١ ق•م) • ولقد عرّف بركليس الديموقراطية فقال : « انها نظام للحكم تتولاه الأكثرية لا الأقلية ، وهو يتيح للمواطنين جميعاً الاشتراك بالحكم عن طريق التصويت » •

ولقد أخفقت الديموقراطية الاغريقيـة وتقوضت عندما دخلت أثينـا دور التوسع والاستعمار واضطهاد الشعوب المغلوبة • بعدها أصبحت روما وريثة الثقافة الهيلينية • وعلى الرغم من فساد النظام الاقتصادى وما اتصف به من فوضى سادت حياة روما ، فانها شهدت تطوراً ديموقراطياً كان يتمثل فى سلسلة الثورات التى كان يقوم بها عامة الشعب لحمل الطبقة الارستقراطية الحاكمة على اشتراكهم فى الحكم ، فكان أن أصبح لهم ممثلون فى مجلس الشيوخ الرومانى ، الذى فقد صـفته الديموقراطيـة فى أواخر حيـاة الامبراطورية حيث أصبحت عضويته تشترى بالمال والجاه •

ولقد كانت رسـالة روما فى تاريخ البشرية ، هى انها هضمت ثقافة العالم القديم ووحدتها ، ثم سلمتها الى العصـور الحديثة • فالنظام والتساهل بين الأمم كانا قد سادا عالم البحر المتوسط القديم وأعطيا البشرية شعاعاً من الأمل بما يمكن أن يحققه الانســان اذا أراد • كذلك فقد أعطت رومـا البشرية شريعة تستطيع بها أن تختار بين السيادة الشعبية وبين حق الملوك

الالهي ، ثم بين السيادة الشعبية وبين الديكتاتورية : ديكتاتورية الفرد وديكتاتورية الطبقة وديكتاتورية رأس المال •

وبعد سقوط روما قامت امبراطورية الكنيسة وانتصبت العروش ذات الحق الالهي طوال العصور الوسطى فلم يكن هناك من أثر للديموقراطية قط • وعند ابتداء العصور الحديثة التى ابتدأت بنمو المدن وتوسع التجارة وظهور العلوم ، بدأت أوربا تستعيد ذكرياتها عن الديموقراطية الأغريقية ، فكان ان ظهرت طبقة من المفكرين أمثال لوك ومنتسكيو وروسو وديدرو ، تجاوبت مع ثورة النفوس على استبداد الملوك وسلطان الكنيسة ، فاستطاعت أن تشعل نار الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، لتظهر على العالم الحديث بوثيقة حقوق الانسان والمواطن ، التى كانت ولم تزل القاعدة الجبارة التى تقوم عليها صروح الثورات الديمقراطية •

والديمقراطية ترمى الى تحقيق ثلاثة اهداف هى : (١) الأخاء (٢) الحرية (٣) المساواة •

فالأخاء ، هو الأخاء فى المواطنة وتقوية الشعور الوطنى وذلك بالاهتمام بالعائلة على اعتبار انها الحجيرة الأساسية فى كيان البناء الاجتماعى الصالح ، وهو ما يدعو الى العمل على تقوية الروابط المتينة بين أفرادها بزرع بذور المحبة بين أفرادها واحترام حق المرأة فيها على خط معاكس تماماً للخط الذى رسمه لها فى فلسفته انجلز • ثم شمول المجتمع هذه الحجيرة بالرعاية التربوية والثقافية والصحية والأخذ بيدها الى الحياة الكريمة وهو ما يقوي الروابط بينها وبين المجتمع ويعزز فى نفوس أفرادها الحس الوطنى النبيل •

كذلك يعني الأخاء تقوية الروابط القومية وهو ما من شأنه المحافظة على كيان المجتمع كوحدة قوية غير متفسخة تنزع الى الخير والصالح العام ، وتطرح الاختلافات بين الافراد بجميع أشكالها على طاولة الاقناع والاقتناع دون اللجوء الى الدموية والعنف ، ثم الالتزام برأى الاكثرية ، ثم الحيلولة دون ضغط هذه الاكثرية على الأقلية بما يمس من حرياتها وكرامتها بسبب اختلافها معها فى الرأى .

ويمتد مبدأ الأخاء بنظر الديموقراطية الاشتراكية ، الى الصعيد الدولى فهى تساعد على بناء ديموقراطيات اشتراكية مماثلة دون التدخل بالشؤون الداخلية للأمم والشعوب ، على أن تعامل هذه الديموقراطيات بعضها بروح الأخوة عن طريق تبادل ثمرات المنجزات العلمية والفنية والأدبية والصناعية والزراعية وتوسيع التبادل التجارى بينها ، ومساهمتها المشتركة فى ميدان الكشف العلمى وتطوير المبتكرات والمخترعات المفيدة للحضارة والمدنية وكل ما يعود على الانسانية بالخير ، وذلك كوسيلة مضمونة لتجنب الحرب ، ومن أجل القضاء على الاستعمار .

وهكذا يكون مبدأ الأخاء فى الديموقراطية الاشتراكية : يحفظ للمجتمع كرامة العائلة ، وكرامته القومية ، وعزته الوطنية ، ثم يتجه بالمجتمع ذاته كوحدة قوية متضامنة الى تأدية رسالته الانسانية فى الحياة المدنية بنشر الخير من أجل الحضارة والقضاء على أسباب الحرب والاستعمار .

وعن المبدأ الثانى ، فان الحرية حال من الحالات التى لا يستطيع الكائن الانسانى الشعور بكرامته وقدرته على الحياة السعيدة والابداع بدونها .

ولقد عرفها توماس پين بقوله : « انهاحق الفرد فى أن يعمل كل ما لايعارض حقوق الآخرين » • وعرفها هارولد لاسكي قائلا : « انها الرغبة الملحة للاحتفاظ بذلك الوسط الذى يوفر الفرص للناس كي تظهر ذواتهم فى أحسن أحوالها » • وهناك الكثير من التعاريف والأقوال عن الحرية لكثير من المفكرين وكلها لا تتعدى حدود هذه الدائرة التى أوردناها • والحرية التى تؤكد عليها الديموقراطية هى :

أ ـ حرية العقيدة وهذه :

(١) حرية الفكر والضمير •

(٢) حرية التعبير عن الرأى نطقاً وكتابة بما لا يمس سلامة المجتمع •

ب ـ الحرية السياسية :

(١) حرية الاجتماع فى حدود القانون •

(٢) حرية تأليف الجمعيات فى حدود القانون •

(٣) حرية الاقتراع •

ج ـ الحرية المدنية :

(١) الحرية الشخصية التى تنتهي عند ابتداء حرية الآخرين •

(٢) حرمة المسكن واحترام سرية المراسلات الشخصية •

د ـ الحرية الاقتصادية وهى :

(١) حرية الملكية الفردية الخاصة ضمن الحدود التى لا تصبح فيها مصدراً للظلم الاجتماعى وخطراً على الصالح العام •

ولقد نصت المادة الثانية من وثيقة حقوق الانسان والمواطن التى

أصدرتها الثورة الفرنسية :

« ان غاية كل هيئة سياسية هى صيانة حقوق الانسان الطبيعية الثابتة وهى : الحرية وحق التملك والأمن ومقاومة الظلم » .

أما المبدأ الثالث ، وهو المساواة ، فانها فى الديموقراطية الاشتراكية :

١ ـ مساواة اجتماعية وتوازن اقتصادى : وهى تتحقق بمحو الفوارق الطبقية ، وليس بسيطرة طبقة على أخرى كما تريد الشيوعية ، ثم بمنع استغلال الفرد لاخوانه من المواطنين الآخرين .

٢ ـ المساواة أمام القانون : وهى أن تسري أحكام القانون على المواطنين جميعاً وان يكونوا سواسية أمامه بغض النظر عن أى اعتبار لايقره القانون ذاته .

٣ ـ المساواة السياسية : وهى أن يمارس الجميع نفس الحقوق التى يكفلها لهم مبدأ الحرية دونما تمييز بسبب المعتقد الديني أو الجنس ، أى كونه ذكراً أو انثى ، أو أى اعتبار آخر لا يقره القانون .

٤ ـ المساواة بالفرص ، أو تكافؤ الفرص : أى أن يتكفل المجتمع حماية حرمة وكرامة كل المواطنين بصورة متساوية ومتكافئة وان يفتح أبواب العمل والابداع أمام الجميع لتحفيز القابليات وبذل الجهود الهادفة الى الخير العام ، مع مراعاة مصلحة المجموع بالحيلولة دون فسح المجال للفرصة التى تؤدي الى الظلم الاجتماعى . ان هذه المادة تندمج مع المادة الاولى أعلاه من الناحية الاقتصادية .

٥ ـ المساواة فى المواطنة : وهى أن يكون للجميع ذات الحقوق المدنية

والسياسية ، وان يكونوا متساوين أمام ما يفرضه عليهم المجتمع من واجبات وتكاليف عامة دونما تمييز لا يقره القانون •

يظهر جلياً مما ورد آنفاً من أشكال الحرية والمساواة بأن هذين المبدأين لا يتعارضان مع بعضهما مطلقاً ، وهو ما سبق أن أشرنا اليه ، ولقد نصت المادة الرابعة من وثيقة حقوق الانسان والمواطن للثورة الفرنسية بأنه :

« تقوم الحرية على حق المواطن فى أن يمارس كل عمل لا يضر بالآخرين • ولذلك فان ممارسة الحقوق الطبيعية من قبل أى شخص كان ، لا تقف الا عند الحد الذى يؤمن لبقية أعضاء المجتمع التمتع بهذه الحقوق نفسها • وهذا الحد لا يعينه الا القانون » •

هذا عن الديموقراطية ، أما عن الاشتراكية ، فان لها كذلك جذوراً بعيدة فى التاريخ • انها وجدت عند بعض المجتمعات المتمدنة القديمة • طبقها الأغريق فى عدد من مدنهم • ومارسها الرومان بصورة محدودة ، ونادى بها بعض فلاسفة الصين القدماء • ولقد دعا اليها افلاطون كرهاً منه للعلم والديموقراطية فكانت اشتراكية اوستقراطية ممقوتة • كذلك أخذت بها المسيحية بشكل محدود فى القرون الوسطى • ولقد تبلورت الآراء الاشتراكية الحديثة منذ عصر الثورة الفرنسية فظهرت مذاهب اشتراكية تختلف مع بعضها فى أساليب تحقيق أهدافها الاقتصادية فكانت هناك آراء سان سيمون وشارل فورين وكارل ماركس وكارل رودبرتس وفرديناند لاسال وبرودون وباكونين ، ثم كاوتسكي وأوثمار سيان وسدنى ويب وبرناردشو وغيرهم •

والحق فقد كان أبرع من عبر عن الاشتراكية ورسم لها صورتها الفلسفية الواضحة ووضعها فى اطار ديموقراطى ، هو جان جاك روسو فى كتابه العقد الاجتماعى اذ قال : « ان المساواة فى الثروة ، هى أن لايكون لأى مواطن من الثروة ما يستطيع به شراء غيره من المواطنين ، وان لا يوجد بين المواطنين فى المجتمع من هو فقير لدرجة يضطر معها على بيع نفسه للآخرين » •

وفى زحمة الآراء والنظريات الاشتراكية هذه التى استمرت منذ الثورة الفرنسية حتى هذا اليوم ، برز هناك تياران راديكاليان متطرفان ينزعان الى القوة والشراسة والعنف كوسيلة لاقتلاع كل شيء من جذوره واقامة مجتمع جديد طبقاً لفلسفة كل منهما • الاول هو التيار الشيوعى الماركسى الذى يهدف الى الثورة العنيفة الدامية واقامة ديكتاتورية طبقة واحدة على أشلاء بقية الطبقات ، وسيطرة هذه الطبقة الجديدة على جميع مصادر الانتاج ووسائله وكذلك المواد الاستهلاكية ، ثم سحق الدولة • والثانى هوالتيار الفاشستى الذى يسيطر على مصادر الانتاج وتوجيهه الوجهة العسكرية الاعتدائية بالقوة والعنف دون اللجوء الى فكرة الثورة الطبقية الحادة • وكان ماركس قد رأى بأن الاقتصاد هو العامل الحاسم فى تقرير التاريخ • أما الفاشست ، فقد رأوا بأن هذا العامل الحاسم هو « الدولة » • وقد رأى ماركس بأن الصراع بين الطبقات هو السبيل الى التقدم ، أما الفاشست ، فقد رأوا بأن هذا السبيل هو فى الصراع بين الدول • ومن هذه النقطة انطلق النازيون فى فرض سيطرتهم على الانتاج واخضاعه لصالح

العسكرية لتوطيد كيان الدولة وجعلها متفوقة على غيرهــا من الدول التى تصارعها فى الحرب •

وبين التطرف ذات اليمين وذات اليسار ، كان هناك تيــار اشــتراكى آخر يؤمن بالديموقراطية كعقيدة وسياسـة واسلوب فى تطبيق الاشتراكية على ضوء الفكرة الواضحة التى صاغها جان‌جاك روسو للمساواة الاقتصادية أو الديموقراطية الاقتصادية التى أشرنا اليها قبل لحظات ، وهذا التيار ، هو الديموقراطية الاشتراكية •

فالديموقراطية الاشتراكية نتيجة من نتائج تطور الفكر الديموقراطى • وهي تؤمن بأن الشعب مصدر السلطات ، وانه هو الذى يسن الشرائع وينفذ القوانين ، وليس طبقة معينة ذات ديكتاتورية على غيرها كما هو الحــال فى الشيوعية ، أو شخص معين له ديكتاتورية على كل الطبقات كما هو الحـال في النــازية •

كذلك فانها عقيدة تؤمن بوجود نزعة الخير فى الطبيعة البشرية لذلك فانها تؤمن بمبدأ الاتفاق وامكانية قيامه بين المختلفين فى الرأى عن طريق الاقناع والاقتناع ورفض استخدام السيف في تطبيق ما تراه مناســباً من مناهج اقتصادية • ذلك انها تعتقد بأن الحالة المدنية هى اللجوء الى الاقناع بدلا من القوة التى كانت اسلوبا ملازما للانسان قبل عهده بالمدنية والحضارة• اذ من الجائز أن يجعل النظام الديكتاتورى من الفرد الذى يتقبله مثقفا ، غير انه من المستحيل أن يجعل منه متمدنا • عليه فان المجازر المخيفة والحرائق الهائلة والآلام الممضة التى صبها البلاشفة على رأس الشعب بعد انتصــار

ثورة اكتوبر فى سبيل تطبيق مناهج اقتصادية معينة ، وكذلك الاضطهاد والقسر والقمع والقتل الذى استخدمته الاشتراكية الوطنية الالمانية فى ظل هتلر لأغراض مشابهة ، مرفوض أصلا فى عرف الديموقراطية الاشتراكية التي تؤمن بكرامة الانسان وتشمئز من جريمة القتل بسبب الاختلاف في وجهات النظر ٠

والديموقراطية الاشتراكية تؤمن بـ « التقدم المستمر أبداً » ولا تؤمن بـ « المطلق » ٠ وبعبارة أوضح ، انها لا تؤمن بالكمال لنفسها وتدعيه ، على عكس الديكتاتوريات التى تؤمن بالمطلق وتدعي لنفسها الكمال ٠ فالديكتاتوريات تؤمن بأن التقدم هو سير نحو المطلق ، أى نحو الكمال ، والتوقف عنده ٠ فماركس مثلا ، يزعم بأن المطلق هو زوال الطبقات وتلاشى الدولة ولا شىء بعد ذلك ٠ وكذلك هتلر ، فانه يوقف التقدم عند « عهد الالف عام » الهتلرى المشؤوم ٠ والديموقراطية الاشتراكية ترفض كل هذا اللغو والهوس الفلسفى المظلم ٠ انها تؤمن بالتفاؤل والازدهار والتقدم المتطور المستمر ، وان ما يصلح لهذا اليوم قد لا يصلح غداً ، وما يتفق مع صالح هذا الجيل قد لا يصلح للجيل القادم أو الذى بعده ٠ انها لا تحجر نفسها فى قوقعة أو قالب متحجر من نصوص فلسفية أو اقتصادية تتمسك بها على مر السنين والأجيال وكأنها أشياء منزلة كما يفعل الشيوعيون مثلا فى قوقعة النصوص الماركسية واللينية ٠

ان « التقدم والتطور أبداً » هو الشعار الذى ترفعه الديموقراطية الاشتراكية دائماً ، وهى تعارض وتضحك ممن يدعى لنفسه الكمال ٠

والديموقراطية الاشتراكية تكافح الاستعمار لأنها تؤمن بمبدأ الأخوة كأحد أركان الفكرة الديموقراطية • لذلك فانهـا تسعى دائما الى تحـرير الشعوب المستـعمرة ورفعها الى مصاف الشـعوب الاخرى التي سبقتها في التحرر والرقي • ومن هذا المنطلق ، فانها تشـجب الحرب وتدعو الى نزع السلاح والقضاء على أسباب الحروب ، لكنها تحمل السلاح دفاعاً عن النفس اذا ما هوجمت الدولة واعتدى عليها من الخارج لأن الضعف أمام المعتدين من شأن الجبناء •

وقد تأتى الديموقراطية الاشتراكية الى السلطة عن طريق الانتخابات العامة ، كما تحاول أن تفعل هـذه الايام فى كثير من بلدان أوربا الغربيـة وأميركا اللاتينيـة وآسـيا وأفريقيا • وقد تأتى نتيجة لثورة تحررية ضـد الاستعمار ، كذلك فانها قد تأتى عن طريق ثورة غير طبقية ضـد حكم غير ديموقراطى فاسـد ، أو ديكتاتورى فردى •

وليس للديموقراطية الاشتراكية مناهج اقتصادية معينة ثابتة تدعي بأنها صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان كما تدعي الشيوعية مثلا ، بل وعلى العكس ، فانها ترى بأن تستخلص المناهج المنوى تطبيقها من صميم حاجـة وصالح البلد والمجتمع الذى تقوم فيه ، آخذة فى ذلك بعين الاعتبار ، التطور الاقتصادى والعلمى الذى يجرى حولها في بلدان العالم الاخرى لتسـاهم بقسطها في خدمة المدنية والحضارة • لذلك فان مناهجهـا تكون بما يتفق وحاجة البلد في المرحلة الراهنة • كذلك فانها لا تقوم بوضـع منهج معـين يتعارض مع الرأى العام أو الاحكام الدينية • ففي بلد تكون غالبية سـكانه

العظمى من المسلمين مثلا ، لا تقوم الديموقراطية بوضع أى منهج ، أو أى تشريع من شأنه الغــاء الميراث ، على اعتبار ان هذا التشريع يتعارض مع التشريع الاسلامي الذى أقر وجود الميراث ، وهو ما تلتزم به وتؤكد عليه الثورة الديمقراطية الاشتراكية القائمــة فى مصر ، وكذلك ، كما هــو معروف ، الثورة الديموقراطية الاشتراكية القائمة الآن في العراق •

والديموقراطية الاشتراكية ، بالاضافة الى أنهــا لا تؤمن بالقسر والعنف فى تطبيق منهج اقتصادى معين ، فانها لا تؤمن أيضاً بـ« المصادرة » وانتزاع الملكية الشخصية • فالملكية الشخصية غير ذات الخطر على حياة المجتمع مصونة فيها • واذا كان الصالح العام يقضى بانتزاع ملكية خاصة معينة ، فان ذلك يجرى بموجب القانون ، وعلى أساس تعويض صاحب تلك الملكية المنتزعة بما لا ينقص عن قيمتها المادية فى شىء ، كأن تستملك الحكومة مثلا ، عقاراً معيناً لغاية فتح طريق عامة أو اقامة مصنع أو غير • وحتى فى حالة تأميم مشروع اقتصادى ضخم ، فانها تعوض أصحابه ليتمكنوا من مواصلة خدمة البلد بالاشتغال فى مشاريع اقتصادية أخرى غير ذات صفة احتكارية • انها لا تسمح للفرد أن يحتكر ثمرات مشروع اقتصادى كأن يمتلك السكك الحديدية فى العراق • أو أن يمتلك مصلحة البريد والبرق والتلفون كما جرى فى بعض الدول الرأسمالية • ان مثل هذه المشاريع التى تحتوي على جهود ومقدرات ألوف العمال والموظفين والمستخدمين يجب أن تكون من ممتلكات الأمة • لذلك فانها تسعى الى تأميمها • أما بخصوص الملكيات الاخرى فانها تنظر اليها على ضوء ما جاء

فى المادة ١٧ من وثيقة حقوق الانسـان للثورة الفرنسية التى نصت على ان « الملكية الخاصــة حق مقدس غير قابل للنقض ، فلا يجوز أن تنتزع من أحد الا عند ما تقتضيه المنفعة العامة الثابتة بصـورة قانونية • ويشترط فى أحوال انتزاع الملكية من أصحابها ، منح تعويض عادل لهم » •

والديموقراطية الاشتراكية تحترم المرأة وتعطيها كافة حقوقها السياسية والاجتماعية وتساويها بالرجـــل • فهى لا تهين كرامتها وتسـحقها مثـــل الشيوعية ، ولا تجعل منها مجرد معمل صغير لانتاج الاطفال تدفـع بهم الى سوح القتال ، وخادم تلازم البيت في معـــزل عن الشؤون العـــامة كمـــا رسمته لها النازية •

والديموقراطية الاشتراكية ، بعد هذا وذاك ، لا تقر بشرعية الاقطاع والتركيز والاحتكار • كذلك فانها تسـعى الى ايقاف رأس المال الضـخم النازع نحو التسـلط والاسـتعمار عند حده ، ثم ايقـــاف فعالية المشروع الاقتصادى الضخم عندما يصبح مصدراً لظلم الآخرين • وان أبرز وسائلها فى تنفيذ ارادة المجتمع لازالة هذه المظالم الاجتماعية ، هى التأميم على أساس التعويض كما أسـلفنا ، وفرض الضرائب التصاعـــدية ، وتوزيع الاراضى الزراعية بنسب معينة على مستحقيها من أفراد الهيئة الاجتماعية ، كل ذلك بموجب القوانين النابغة من ارادة الشعب ، والتى تمارسها الهيئة السياسية ، أعني الحكومة ، التى يرتضيها الشعب ، باسم الشعب •

ومقابل هذا التدخل من قبل الهيئة السياسية فى شؤون أفراد المجتمع الاقتصـادية ، فقد أصبح للمواطن على الدولـة فى ظل الديموقراطيـــة الاشـتراكية حقوق هى :

١ ـ حقه فى السعادة والتحرر من العوز

٢ ـ حقه فى الثقافة والتربية والتعليم

٣ ـ حقه فى العمل

٤ ـ حقه فى الراحة والتسلية

٥ ـ حقه فى الصحة

٦ ـ حقه فى الحصول على الضمانات ضد البطالة والمرض والشيخوخة والعجز •

تلك هى الخطوط العريضة والوجه المشرق للديموقراطية الاشتراكية التى تلتف حول أعلامها جموع الشعوب التى كانت قد استضعفت يوماً فى الارض • انها الجنة الوارفة الظلال التى ينظر اليها اليوم شزراً بغضب ، زبانية الجحيم الشيوعى المستعر الأوار •

▽

بعض مراجع البحث

١ ـ عطا بكري : الدستور وحقوق الانسان ◆
الديموقراطية فى التكوين ◆

٢ ـ جان جاك روسو : العقد الاجتماعى : ترجمة ابراهيم الخال ◆

٣ ـ فيلد مارشـال هندنبرغ : مذكراتى : ترجمة أحمد رفعت ◆

٤ ـ صديق القادري : مذكرات القادرى ◆

٥ ـ بولدوين : الديموقراطية : ترجمة يوسف الخال ◆

٦ ـ الدكتور محمد عبدالله العربى : نظرات بين الشيوعية والاسلام ◆

٧ ـ آرفون : الفوضـوية : ترجمة محمد عيتانى ◆

انتهى طبع الكتاب في أيلول ١٩٦٣م بمطبعة الحكومة

الثمن ٥٠ فلساً

لـ تكن الثقافة مشـاعة للجميع

و أجل أن تنير مشاعل المعرفة دروب الحياة

اصدرت وزارة الارشـاد كتب سلسلة الفنون والثقافة الشعبية بشكلها الجـديد

فهي :

ـاد فكري دسم بشكل مبسط وثمن زهيد .

تهيء للقاريء فرص قطف ثمار اشتراكية الثقافة .

— وتفتح أمام الباحث طريق نشر نتاجه على الجمهور بجنـدة لذلك أوسع الامكانيات .

انتم على موعد مع سلسلة كتب الفنون والثقافة الشعبية في مطلع كل شـهر .
اقرأوا فيها : الأدب : الفن : السياسة :
الأقتصاد : الفولكلور :
وكل لون يحقق ارتفـاع
المسـتوى الثقـافي .

« . . . ان ضمور السيطرة الاحتكارية الأجنبية وانحسار ظل الاستعمار عن بقاع العالم كنتيجة لكفاح الشعوب الواعية في الدنيا قد جرد الاممية الشيوعية من اسلحتها الهجومية التي كانت تستعملها في سبابها ضد الديمقراطية الاشتراكية ومبادئها في الثورة السلمية البيضاء . »

« . . . والواقع ان القرن التاسع عشر منـذ مطلعه كانزاخرأبالتيارات الاشتراكيةو الديمقراطية المتعددة الأشكال التي لا تؤمن بدكتاتورية الطبقة الواحدة . وكانت (عصبة الشيوعيين) التي اسسها ماركس وانجلز عام ١٨٤٧ عربة ثورية مكسرة الدواليب ، حاول المفكران الشيوعيان أن يسابقا بها عاصفة الديمقراطيات الاشتراكية المنطلقة في رحاب ذلك القرن فأجهدا نفسيهما في سحبها مدة سبع عشرة سنة دونما جدوى » .

. . . من الكتاب الذي بين يديك . . .

٥٠ ف